

نافذة

نزار والشام والحب

نزار طاقات من حب، ومراتب من وله وانعناق وتمناه في الحب، ليس لأنه شاعر حب وقضايا امرأة، ولعل هذا الجانب هو أقل ما يمكن أن تتم الإشارة إليه، فحسب الحب والمرأة لا يمثل حباً، ولا يرفع مرتبة، فكمن من شاعر حب أو غزل نزل في درك أسفل في مراتب الحب، وكمن من أبي شجاع وهو سيد في الجين والهرب، وكمن من أبي كريم وهو سيد الشح والبخل؛ الاسم والمهنة لا تعطي أي شخص صفة لصيقة به، فالكاره لا يمكن أن يكون محباً، وصاحب المصلحة قد يغفل قلبه بوجود مفترض ينظلي على الجميع، إلا على الحب والمحبة، الحب الذي يعتمده الصادقون تاجاً لأيام خلقت وأخرى يحيونها، وأخرى ما تزال في رحم الأيام التي لم تخلق، وقد لا تخلق، وإن خلقت فهي تحمل طابع عشقهم، وإن لم تخلق فقد تلاشت بعبير حبهم السامي، والحب الذي يلوب بحثاً عن أمه ليلقم صدرها، ويرشف من ريقها حين تقرب لمعابته بقيلة حب لا تنتهي بعد أن استخرجته من رحمها.. الحب الذي يلبس ثنورة الصوفي المولوي يدور فيها على نفسه إلى جوار الشيخ محيي الدين في نكري مولد سرمدى وأبدي.. وحدهما الحب والمحب يقدران على قراءة ما لا يقرأ، وعلى شعور ما يتم إخفاؤه عن الكون، إلا عن بصيرة لا رغبة فيها ولا شهوة.

نزار عاش الحب لأنه إنسان، وليس لأنه شاعر حب، وتغلغل في الثنايا شعراً ونثراً وقولاً وحياء لأنه أراد الخلود، أراد أن يكون خالدًا باقياً أبداً الدهر، لا يقدر كاره على إبعاده، ولا يستطيع ناقد أن يبعده عن محوره حول شرابين قلب أمركه التيب قبل أن يكون نزار الدم الذي يجري في شرايينه ليعطره بالياسمين والغاردينيا والنارنج.. نزار كون من حب أكثر منه في عالم الشعر، واستمد حبه من حبه للإنسان، فهو الذي انحاز إلى أخته وحبها وعشقها، وهو الذي عشق أبا المعتز، وكان أبو المعتز يسكنه في صوته وتفصيله

ضلال أنا لا يموت أبي
ففي البيت منه روايح رب وذكرى بي
وهو الذي سكنه حب أم المعتز العظيمة التي أنجبت، وكان حملاً
مدهشاً يستوعب الكون، واضمحلت آمم المخاض بكون من حب
وشعر وعبقرية، وحين التصق بها أكثر فأكثر استطاع أن يشعر هذا
الانصتاق، وأن يجعل الأم في مرحلة قداسة وطهرية، ليس لإنجابها
وإرضاعها، بل لأنها مقدسة بعروسة السكر

صباح الخير يا حلوة
صباح الخير يا قديستي الحلوة
مضى عامان يا أمي
على الولد الذي أبحر برحلته الخرافية
وخياً في حقيقته بقايا عروسة السكر
صوتها صوته
عروسة السكر وذاوته
سجارتها اللوحة الأزهى

ولد حباً، رضع حباً، لذلك ارتفعت ملكة الحب والانعناق عنده، لم يكن نزار يعرف الحب لولا ثلاثية الحب المدهشة: الأم التي بقي عمره يتوق إلى غشاء رأسها ويراه مقدساً، وتسكن جوارحه روايح فنجان قهوتها.. وأب كان محباً شامخاً يحترم امرأته ويديريها، يدعي كما يقول نزار أنه صائم حتى لا يغضب أم المعتز التي تزیده صامناً، أب أعطى لابنه الأجنحة للانطلاق في عالم الإبداع، لم يمنعه عنه جناحاً، ولم يحجز عنه هواء، ولم يقل فيه قولاً، ولم يستل يوماً سكيناً أو مقصاً للعبت بالجناح والكلمة، فقد آمن أبو المعتز أنه كان طريقاً لدلوف العبقرية إلى أرضنا وليس من حقّه أن يحجز هذه العبقرية في مقمق..! أما أمم جزء من الثلاثية هي الشام التي أعطته مئذنة شحمها ومئذنة العروس، وأوقفته عند رأس الحسين، وجعلته صامناً أمام السيدة العذراء ويسوع.. ينطلق إلى الحارات والمعاهد لينهل من كل ما في الشام وليس في سواها!

أعطته جمالاً
كل ما في الشام وليس في سواها!
من جمع مكوناته وأشلاء من أم وأب وشام كان رسولاً لخلود الإنسان والمرأة والوطن، ومن شامه اختار الشامة لسموها وارتفاعها يا شام يا شامة الدنيا وورديتها

يا محسنك أوجعت الأزميالا
إن كنت أخفي ما أكابده

فأجمل الحب حب بعد ما قتيلا
الجوهر المكون الذي يكتنز الحب ولا يغفل منه معاداً أو معرفاً، بل يرنو ويسعى إلى ذلك الحب الذي لم تعرفه الأبجدية بعد، والذي لم يأت على لسان شاعر أو مبدع، بل يريد ذلك الحب الغوي الذي لا يستعين بالشعر أو أغنية، وإنما يهمل غوية على لسان المتصوف الباحث بين الزوايا والتكايا عن سجادة صلاة لا تعرف جبيناً سوى جبينه، وعند حبيبة للعابد وحده، تتحمل سهوه ومعابته لها بماء وضوءه الذي يهيمي على وجهه كل لحظة، ولكل صلاة وضوء خاص، العابد الصوفي وحده على طهارة في كل لحظة وحين، وعندما ينزوع في مغارات الأربعين، ويرتقي إلى هابيل وندي الكفل، ولا يترك هضبة أو قمة إلا وترمع عليها يكون في حالة من تطهر، لكنه لا يتقدم إلى سجادة صلاته إلا بعد أن يتطهر! يعرف غفو الرب، وهو على يقين منه، لكنه لا يتقدم منه إلى صلاتين بوضوء واحد!

بين شجرتي نارنج
بين بيتين متلاصقين
بين قامتين جميلتين يقف نزار
وائق من عشقه الأبدي الذي لا يشبه سواه، يدرك أنه الوحيد القادر على أن يجعلها معبودة، ولكنه لا يريد لها أن تتلوث، يطرح لها فرضيات كثيرة قتلته، ولا يريد لشامه أن تكون لسواه أو مع سواه: كوني مع الزارع
لن تكون امرأة إلا معي
الحب وحده هو الذي جعله على يقين بأنه من يمنحها أنوثتها وإنسانيتها وكونها امرأة دون كل الناس، فالجميع يراها لعبة ومتعة، وهو يراها امرأة متكاملة الإنسانية والأثوية.

لم يكن الحب عند نزار شعراً
لم يكن أغنية للمارين
لقد كان الحب منزعجاً في التراب، في الوطن، في المرأة، في كل فاصلة من فواصل روحه، لذا عندما أتم رحلته، وشعر بأنه وزع ما منحته ثلاثيته على الكون أراد أن يكون كبيراً، وأن يذلف إلى شامه من الباب الصغير ليرقد فيها ويتعلم..

وهب حبه للمدى
قضى عشرة آلاف سنة
كانت لحظة في مقياس الحياة وأعماراً متطاولة في حياة الوطن
انزوع نزار متوسداً نزار الشام بعد أن أمره يوسدها نزاره،
ويصنع منها الحبيبة المدلة أمأ وأختاً وحبيبة
حبيبتي أنت فاستلقي كأغنية

على نراعي ولا تستوضعي السببا
أنت النساء جميعاً ما من امرأة
أحبيت بعدك إلا خلقتك كذبا
كان حالمًا ويحلم ويعتذر من شامه لنزقة:
يا شام يا شام ما في جعيتي طرب
أستغفر الشعر أن يستجدي الطربا
لكنه غضب طالت أطافره
ما أجبين الشعر إن لم يركب الغضبا
أعدت سكينته في صدر الكسل وريقته
عاش حراً محباً
وغادر وهو يستاف الحب لا غيره

إسماعيل مروة

الردة الصوفية في الدراما السورية

أعمال لامست النص الصوفي ولم تقدم قراءة عميقة ولكننا بحاجة لنطفي نار التطرف



من مسلسل «عندما تشيع الذئاب»



من مسلسل «مقامات العشق»

سورية بنكهة صوفية لأهداف ربما أهمها طرح الأخلاق السامية والبحث عن إسلام معتدل بعد موجة تشدد عاتية عصفت بوطننا وفككت بشبابنا. وإذا أردنا إطلاق عنوان على دراما عام ٢٠١٩ فيسكون «الصوفية»، بدءاً من «الحلاج» و«مقامات العشق» كما أن «العاصوف» تطرق له أيضاً، ومسلسل «عندما تشيع الذئاب»، أما على مستوى الإنتاج المحلي فلدينا عمل «ترجمان الأشواق» الذي أنتج منذ عامين وتمثلت الصوفية باسم العمل وشخصية الدكتور زهير (غسان مسعود)، وعمّا إذا كانت الدراما قد طرحت الصوفية بشكلها الصحيح، وخلفيات وأهداف المحطات الخليجية من طرح هذا النوع من الفكر ناقشنا الموضوع مع كل من السيناريست السوري عثمان جحا وخلدون قتلان.

عثمان جحا: أعتبر أن التجربة الصوفية التي طرحت في الأعمال غير موفقة لأنها سطحية

المقصود هنا بالباطن قراءة ما خلف المعنى من نص القرآن الكريم، وكان للصوفية تجارب في تقديم شرحها لكتاب الله كتجربة «سهل التستري» أحد أئمة الصوفية وعلماهم، فالفكر الصوفي يحتاج إلى قراءة عميقة للوصول إلى فهم فلسفته التي بنيت على صراع نور والظلام، ويأتي قبولهم لاحقاً من مبدأ الصراع بين الأضداد، ذلك الصراع الذي ابتداء الله به الخلق فكان للإنسان ضد اسمه «إبليس» وذهب بعض المتصوفة كالحلاج إلى مناقشة دور إبليس والسبب الرئيسي لعدم السجود آدم، فلقد وجد الحلاج أن الحب هو السبب، فحب إبليس لربه منعه من السجود لغيره، وهو بذلك قد حول الصراع بين بني آدم وإبليس وأتباعه إلى صراع من أجل الفوز بقلب الحبيب الأزلي وهو الله سبحانه وتعالى، بمعنى «لن تحب الله أكثر مني فأنا أفهم لعبتك»، فإذا قبل متصوف كالحلاج حجة إبليس فكيف لا يقبل حجة نبي البشر، ومن هنا تأتي أهمية ذلك الفكر في هذا الوقت».

وعن خطورة طرح الصوفية بشكل غير مناسب لكونها قضية إشكالية بين الناس وهناك الكثير منهم يكفرون متبعيها. بين قتلان أنه: «عندما نتحدث عن الصوفية أول من يعترض هم أصحاب الفكر المتشدد، فالفكر الصوفي يخص المسلم من سطوة رجل الدين، ويلغي الوساطة بين العبد وربّه وينقلها إلى أجل حالاتها، الفكر المتشدد هو من قتل (الحلاج وابن عربي والسهوردي وشمس التبريزي)، لذلك يزعمهم جداً أي فكرة تقود الإنسان إلى التفكير والمعرفة، وأي عمل يحمله ولو قليلاً من تلك المعرفة لا بأس بعرضه، فنحن بحاجة لكل صوت يحاول أن يطفى نار التطرف».

وعما إذا كان يعتبر تلك الردة موجة هاربة من التشدد لتسطر رحالها باحثة عن فكر معتدل. يجابو: «لا اعتبرها هروباً، بل أستطيع أن أقول إنها مدروسة وموجهة لتخفيف موجة التطرف، ولا نستطيع تحديد زمان لمكوها في الفكر المعتدل، فالأمر مرتبط بالسياسات الدولية فحما يعلم الكثير تقوم السينما الأميركية بتصوير فيلم عن شاعر الصوفية الشهير (جلال الدين الرومي) الشهير بمولانا، وكما أشرت سابقاً فالفرصة متاحة أمامنا لنشر فكر وسطي يتناهه أهل سورية عبر الإنتاج الدرامي والسينمائي».

وبعد إنجازه ششرين حلقة من مسلسل «الحلاج» باسم «إمام القبول» أسندت المهمة إلى السيناريست الأزدي أحمد المغربي، وعن أسباب فسح العقد يكشف لنا قتلان أنه: «بعد عشر حلقات لم ألتق فيها أي ملاحظة جاء قرار الشركة بتغييره إلى أن العمل على من مستوى الجمهور، ولذلك أعدت صياغة

من جهة أخرى تحدثنا إلى الكاتب خلدون قتلان موجبه له عدة أسئلة عن طرح الصوفية في الدراما السورية وما أسباب تلك الردة الصوفية فجابو: «الامر واضح تماماً نبذ التطرف هو الهدف، الأمر يرجع إلى الأحداث الدامية التي شهدتها المنطقة العربية فيما سوهو (الربيع العربي)، التطرف لدى الشعوب العربية وصل لمراحل لم يشهدها العصر الحديث، قادين هو الورقة الراجحة التي تشن الحروب تحت رايتها، ومع اكتشاف ورقة الدور العالمي في تجييش الشعوب المسلمة وفشل مشروعه، كان لا بد من احتواء ذلك الاحتقان في الشارع العربي المسلم، بالحرب في سورية قد حسمت لمصلحة الدولة السورية، وليس من الحكمة تقريخ إرهابيين جدد في المنطقة في الوقت الحالي من دون تحديد وجهتهم فهم يصنعونهم لأجل حروبهم، ولهذا كان خيارهم تعويم الفكر الصوفي «الوسطي» على الفكر السلفي المتشدد، وأقدم صدرات تقارير غريبة بشأن ذلك، ومن هنا يجب أن ننتبه إلى دور الدراما كسلاح فكري فتاك، بل يجب أن نستغل الأمر عبر دراماتنا السورية ونقدم للعالم العربي والعالم الفكر الوسطي الذي يتبناه الشعب السوري عبر المتصوفة الذين كانت دعواهم وما زالت قبول الآخر وتعميم ثقافة الحب».

وعما إذا ما كانت تلك الأعمال خدمت الفكر الصوفي وقدمته بشكل صحيح للجمهور وما إذا كان الغوص فيها يحتاج إلى المزيد من البحث والتأمل الحقيقي قبل طرحه. يقول قتلان: «لا أعتقد بأنها نجحت في تقديم الفكر الصوفي بشكل صحيح، نستطيع أن نقول إن تلك الأعمال لامست النص الصوفي الظاهر ولم تتمكن من تقديم قراءة باطنة، فالعلماء المتصوفة أهل باطن

خلدون قتلان: قدمت للمحكمة ٤٨ صفحة أوثق فيها الاعتداء من مسلسل «الكاتب»

عندما تشيع الذئاب»



من مسلسل «العاصوف»



من مسلسل «صراع الجوارى»